فعلتَ ذلك ما ظننتُ أني أصدِّقك !»[١] . ويعود رؤساء قريش فيطلبون إلى الرَّسول ﷺ أن يجعل الله له جناناً وقصوراً وكنوزاً ويبعث معه ملَكاً يصدِّقه ، فينزِّل الله تعالى على رسوله قوله « وقالوا ما لهذا الرَّسول يأكل الطَّعام ويمشي في الأسواق ، لولا أنزل إليه مَلَكٌ فيكون معه نذيراً ؛ أو يلقَى إليه كنزٌ أو تكون له جنَّة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتَّبعون إلا رجلاً مسحوراً ؛ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلاً » (سورة الفرقان ، آيات ٧–٩) وينزِّل فيما قال ابن أبي أميَّة « وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض يَنْبُوعاً ؛ أو تكون لك جنَّة من نخيل وعنب فتفجِّر الأنهار خلالها تفجيراً ؛ أو تسقط السَّماء كما زعمت علينا كِسَفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ؛ أو يكون لك بيت من زخرف أو تَرْقى في السَّماء ، ولن نؤمن لِرُقِيِّكَ حتى تُنَزِّلَ علينا كتاباً نقرؤه ، قل سبحان ربِّي هل كنت إلا بشراً رسولاً .»[٢]

أمَّا ما يتردَّد ذكره في كتب السِّيرة وفي المدائح النَّبويَّة من معجزاتٍ نبويَّة ، فقد يكون بعضها حدث فعلاً ، وهي ليست مستحيلة الوقوع ، غير أنها ليست في غرابة ما تمَّ على أيدي الأنبياء السَّابقين . وقد تأمَّلنا آيَ الذِّكر الحكيم فلم نجد فيها نصًّا صريحاً على وقوع كثرتها الكاثرة ، هذا باستثناء ما يذكر في تفسير أوَّل سورة القمر « اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ؛ وإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ » (١–٢) فقد ورد في صحيح البخاريّ وفي سنن التِّرمذيّ أن في هاتين الآيتين إشارة إلى ظاهرة كونيَّة وقعت في مكة ؛ إذ يروى عن أنس (رضه) أنه قال : « سأل أهل مكة النَّبيَّ ﷺ آية فانشقَّ القمر بمكة مرتين أو فرقتين .» على أن فريقاً من المُفَسِّرين لم يسلِّموا بذلك بل قالوا : لم يقع انشقاق القمر وهو مُنْتَظَر ، أي اقترب قيام السَّاعة وانشقاق القمر وأن السَّاعة إذا قامت انشقَّت السَّماء بما فيها من القمر وغيره . وذكر الماورديّ

(١) سيرة ابن هشام ، ج ١ ، ص ٢٩٨ .

(٢) سورة الإسراء ، آيات ٩٠–٩٣ ؛ وانظر سيرة ابن هشام ، ج ١ ، ص ٢٩٦–٢٩٧ .